

# الكتاب

إلى المنول والترك ، وآخرون إلى البدو أو عرب المغرب ، ولقد  
مرد المؤلف مثار الشبهات عند أولئك التقولين ليعيد فيها النظر  
على ضوء علم الأجناس ، ثم باستقراء ما هو معروف من طريق  
القبائل العربية النازحة ، فأنكشف لرأى العين ضعفها وصرف  
عنها الأذهان مقررا أن عراقه سعد في بيته الفلاح المصري  
لا تفوقها عراقه زعيم من أبناء الأمم الأخرى

ثم يجيء الكلام عن جيل سعد وطابعه المميز من طلب  
الاصلاح والدعوة له والغيرة عليه ، وبيان الدوافع لهذه الحركة  
الاصلاحية من الداخل والخارج ، وما كان لهذا الجيل من شأن  
في نشأة سعد وأبجاء همته ، وصفة أعماله في مستقبل أيامه ، ومن  
هذا الوسيد الكريم ، يتطرق القارىء إلى حى البيت القديم ،  
ويتعرف إلى جد زغلول وأبويه وقرباته وطبائع قومه وأسرته ،  
ومظاهر الحياة في بلده ، وإذا بك بعدها ترى سعدا في مدارج  
طفولته ، وتتوسم غمائل نجاته ، وتتبع خطواته من مكتب  
القرية ، إلى الجامع الدسوقي ، إلى حلقات معهد الأزهر الكبير  
وفي هذه القاهرة المزينة ، اندمج الفتى سعد في حركة دعاة  
الاصلاح وألقى بسهمه مع سهامهم ، وكان يحضر الدرس على الشيخ  
محمد عبده ، ويختلف إلى مجلس السيد جمال الدين الأفغانى ؛ وكان  
الأول أستاذاً له في الدرس وقدوة في الخلق ، وأما لقاءه للثانى  
بطبيعته الثورية فكان صراةً مجلوة لنفسه الجائشة وحافزاً للمكاته  
البيانية والخطابية

ومن ذلك الحين يصح الجزم بأن سعداً قد أنجبه فعلاً إلى  
وجهته ، واستقام على متن طريقه المقدورة له

ويتسع الأفق فاذا الثورة المرابية ومقاديرها ومعقباتها من  
نقى وتشريد وحبس . وتشاء المنابة لسعد أن يقوم على خدمته  
ظروف وملابسات ، فيفرج عنه على كره من أولياء الأمر . ولا  
يلبث طويلاً حتى يشق طريقه من الهامة إلى منصة القضاء ، ثم

## سعد زغلول

### سيرة وتحمية

تأليف الأستاذ عباس محمود العقاد

بقلم الأديب عبد الرحمن صدقى

آية هذا الكتاب أن اجتمعت له خصال ثلاث تجعله في  
عداد كتب السير المشهود لها لأعلام المترجمين ، وتلك الخصال  
هى : التحقيق التاريخى ، والتحليل النفسانى ، والتأثير العاطفى  
يقول العقاد فى كلمة التمهيد لترجمته : « إن الصديق والمؤرخ  
فى الكتابة عن رجل كسعد زغلول يستويان أو يتقاربان ، لأن  
الصديق لن يقول فيه ما ينكره المؤرخ ، والمؤرخ لن يقول فيه  
ما ينكره الصديق . ومن النقص فى جلاء الحقيقة أن يكتب  
المؤرخ ترجمة لعظيم ثم لا يكون على مودة لذلك العظيم . ولأن  
يكون الكاتب مؤرخاً وصديقاً خيراً للتاريخ نفسه من أن يكون  
مؤرخاً وكفى ، لأن الترجمة فهم حياة ، وفهم الحياة لا يتسقى لك  
بغير عطف ومساجلة شعور »

ولما كان الاستقصاء فى طبعة مؤلفنا الكبير ، فقد ابتدأ  
موضوعه من البداية ، فتناول « الطبيعة المصرية » بالبحث  
الضائق ، وعرض لمحك النقد أقوال المؤرخين فيها من أقدم  
عصور التاريخ ، وأخذ باطل الباطلين منهم بالتنفيذ المدعم بالأسباب  
والأسانيد . ثم أبان فى فصل آخر عن وجه الحقيقة فيها  
بما لا يدع بمده زيادة لمستزيد

وانتقل إلى أصل الترجمة له ، فلم يسكت عن تلميح البعض  
إلى نسبته إلى غير الأرومة المصرية ، ومن هؤلاء من يرد أعراقه

تحمله رغبة الحاكين في ارضاء القومية المصرية وفتشد الى دست  
الوزارة

هنا تزخر حياة هذا الرجل بالأحداث ، ويظهر أنه المدخور  
لهضة وطنية طارئة تم البلاد من أفساها الى أفساها، وتولبها  
في قوة وإيمان على الفاسيين . ويعضى المؤلف في تاريخه الضخم  
بصورها أروع تصوير ، ويدفع عنها المغالطة والتكبر ، في فصول  
حافلة طوال : في طريق الوزارة ، سنة ١٩٠٦ ، ووزارة المعارف ووزارة  
الحقانية ، سعد الوزير ، الحركة الدستورية ، الوزير المصري في  
الماش ، في ميدان الانتخاب ، الجمعية التشريعية في خمسة أشهر ،  
قبيل الحرب ، الحرب العظمى ، تأليف الوفد المصري ، بدء العمل ،  
القارة ، الثورة ، من القاهرة الى مالطة الى باريس ، تأليف  
الوفد الأول ، موقف الوزارة الرشدية ، برنامج الوفد والامتيازات ،  
الوفد في أوروبا ، من سفر الوفد الى لجنة ملتر ، المفاوضات في لندن ،  
في مصر أثناء المفاوضات ، بعد عودة الأعضاء ، الوزارة الصديقية ،  
العودة ، الخلاف على المفاوضات ، القطيعة بين سعد والوزارة ،  
فضل المفاوضات الرسمية ، ألتنى ، تصريح ٢٨ فبراير ، من المنى  
الى الوزارة ، في رئاسة الوزارة ، الملك فؤاد وسعد ، من رئاسة  
الوزارة الى رئاسة النواب ، في رئاسة مجلس النواب

وهذه الفصول الطوال تنظم التاريخ المعاصر كله لمصر الحديثة  
في صور حية رائعة تتعاقب على أنظارنا وكأننا كاتبها لا يخط  
أحرفاً وإنما يرسم تهاويل بحسنة كالتي اشتهر برسمها على جدران  
المعابد شيخ الرسامين ميشيل أنجيلو . على أنه يتخللها هنا وهناك  
مواقف شتى يقف فيها القنان موقف المحلل الشارح ، كما يلبس  
أحياناً رداء المدرس النافع

ويختتم المؤلف كتابه كما استهله بفصول دقيقة عميقة لا تتاح  
لغيره عن زعامة سعد وأثرها ، وعن سعد وخصومه ، وعن  
شخصيته وأخلاقه ، وعن ثقافته . ويبلغ المقادمتي حتى حناو العاطفة  
في كلامه عن سعد في بيته ، ومبلغ حبه على أهله ، وكيف كانت  
السيدة الجليلة أم المصريين بنفسها المحبة وفطنها الألفية وقلها  
الكبير ، شريكته بحق في حياته ومجده . وكذلك يمرض عليك  
المؤلف الناحية اللينة إلى جانب الناحية الصلبة في وصفه للقاء  
الأول واللقاء الأخير . وأما كلمته عن فاجعة الوفاة فإنها في عبارتها

الصادقة المؤثرة يطالها القارى فيقلبه التأثيرهما يكن جلده ،  
فاذا هو لا يملك وجده ، وإذا الدمع يخنقه والزفرة تكظ صدره  
ثم لا تبرح ذهنه هذه الصورة آخر العمر :

« ثم ضعف النبض دفعة واحدة ، بعد انتظامه في جميع  
الأدوار الماضية ، فقلب اليأس على الرجاء . وعاده الأطباء للمرة  
الأخيرة في التاسعة والديقة الخامسة والأربعين ، وزلوا إلى  
المكتب لكتابة تقريرهم الأخير . وإنهم كذلك ، إذ دعى  
فتح الله بركات باشا إلى غرفة ظله وهو يجود بنفسه في غيبوبة  
لم تنقطع منذ الصباح . فاشرأبت الأعناق وأمسك الناس أنفاسهم  
ينقبون . وما هي إلا دقائق معدودات حتى عاد فتح الله باشا إلى  
المكتب يمضى كالشيخ المهائم شاحب الوجه مذهول العينين .  
ولم يمرؤ أحد على سؤاله مخافة أن يسكون الجواب المذخور .  
ولكنهم علقوا أنظارهم جميعاً بسينيه ولبشوا شاخصين ينتظرون .  
ديقة واحدة أو دقيقتين ، ولكنهما كاتا من أزمان الأبد في  
روع الشاخصين المتظرين . وفي تلك اللحظة ارتفع صوت نائب  
عند الشرفة المطة على المكتب ، فضرب فتح الله باشا يده على  
ركبته ، وجلس وهو في جمود الأموات ..... ومضت ثوانٍ  
أخرى . مضت والناس في سكون عميق مرهوب ، وكان كل  
ما في بيت الأمة ، وكل ما حوله على أعمق ما يكون السكون ،  
لاصدي في المنزل ولا في الطريق طوال اليومين الماضيين ، حذراً  
من ازجاج المريض العظيم المأمول الشفاء . فلما ارتفع الصوت  
التاحب وجم الحاضرون ثوانى قلائل ، كأننا كانوا يستطيون  
الأمل المدبر ، أو كأننا كانوا بين تصديق وتكذيب . ثم انفجروا  
سبحة واحدة بالنشيج والمجيج ، فلم يكن أروع من ذلك السكون  
إلا هذا الضجيج الذي اتصل صدها في لحظات معدودات بكل  
مكان في القاهرة ، وكل مكان في أرجاء البلاد .. »

ولو أرخينا الننان لأعجابنا لأوردنا الكتاب كله شاهداً  
على فضل كاتبه في كل ماسطره فيه ، وتبريزه في نواحيه المتعددة ،  
وبلوغه الناية من الفن والوفاء والصدق

ولسكتنا تقتضب ، فنقول إن جملة القول في كتاب سعد  
زغلول للعقاد إنه أعظم نصيب أقيم للبطل العظيم الراحل  
عبد الرحمن صدقي